

٢٣ ـ باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

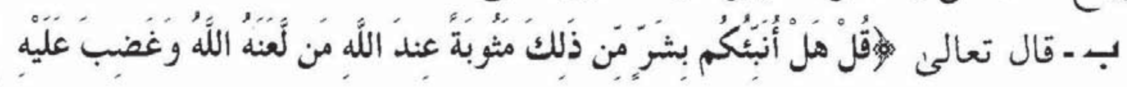
أ - وقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾ [النساء : ٥١] .

بـ - وقوله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة : ٦٠] .

أي باب ما جاء من أحاديث وآيات تدل على ذلك وأنها غير معصومة من الوقوع في الشرك وكما دخل الناس في دين الله أفواجا صاروا يخوجون منه ، وقد وقع في عهد الصديق من الردة ما وقع .

أ - وقول الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ .

أخبر الله أن أناسا من أهل الكتاب يؤمنون بالجبت : وهو السحر ، والطاغوت الشيطان ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾ وهذه قالة اليهود ككعب بن الأشرف وحيي بن أخطب قالوا : إن قريشا أهدي من محمد وأصحابه وهم يعلمون أنه على الحق فقالوا عنادا وحسدا وبغضا وخلافا لما معهم . فهم أوتوا نصيبا - أي حظا - من الكتاب لكن لم يعملوا به بل خالفوه وآمنوا بالجبت والطاغوت وقالوا هؤلاء أهدى سبيلا . فإن كان هذا قد وقع من اليهود فسيقع من هذه الأمة لحديث : «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**» فدل على أن هذا سيكون في أمة محمد ﷺ من يكفر ويقول إن الكفرة أهدى من أتباع النبي ﷺ وهو وقع قديما ويقع الآن ممن يفضلون اليهود والنصارى على هذه الأمة .


بـ - قال تعالى ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ



ج - وقوله تـعالىٰ : ﴿**قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا**﴾ [الكهف: ٢١].

د ـ عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لتتبعن سنن من كان قـبلكم حذو القـذة بالقذة، حتىٰ لو دخلوا جـحر ضب لدخلتـموه**» قالوا: يا رسول الله! اليهود والنصارىٰ؟ قال: «**فمن؟**»[113]. أخرجاه.

﴿**وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ**﴾.

فإذا كان من قبلنا عبدالطاغوت: وهو الشيطان، وكل ما يعبد من دون الله فهكذا يوجد في هذه الأمـة من يعبد الطاغوت والأوثان لحديث «لتـتبعن سنن من كان قبلكم».

ج - ﴿**قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا**﴾.

فإذا كان في الأمم الماضية من اتخذوا المساجد علىٰ القبور وعظموها فكذلك في هذه الأمـة، وقد وقع هذا آخر الـقرن الأول من الرافضـة الذين بنوا المسـاجد وعظموا القبور ثم تبعهم من يدعي الإسلام كما هو حال المسلمين كما في الحديث الآتي:

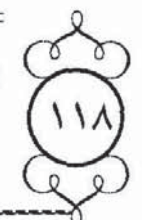
د - عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ...**».

والقــذة: هي ريشة السهم وتكون متسـاوية حتىٰ يستعين بها الرامي علىٰ إصابة الهـدف فكما أن هذه تشبه هذه فـكذلك من وقع من كفار هذه الأمة أشـبه بمن قبلهم في الشرك بالله وعبـادة الأوثان والأصنام. وكما أنه وقع في الأولين من سب أتباع الأنبـياء فكذلك وقع في هذه الأمة من الرافـضة والخوارج الذين سـبوا الصحابة وهكذا كل معصية وكفر وقع في السابقين سيقع في هذه الأمة، ومن ذلك

---

(١١٣) **صحيح**.

رواه البخاري (٣٤٥٦) ومسلم (٢٦٦٩).



ﮬـ - ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «**إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن**

الحديث الذي رواه البخاري مرفوعا : «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة**» (١١٤) ودوس: قبيلة في الجنوب في بلاد غامد وزهران فقد وقع في عهد قريب قبل هذه الدولة من عبد هذا الصنم وطاف حوله وسيقع مرة أخري . وقال علية الصلاة والسلام : «**لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان**» (١١٥) وقد وقع . وعن عائشة مرفوعا : «**لا تذهب الليالي والأيام حتى تعبد اللات والعزى**» (١١٦) وسيقع هذا كله .

مسألة : حديث «**يئس الشيطان أن يعبد في جزيرة العرب**» (١١٧) هذا يحتج به الجهال ولكن هل يئس معصوم ؟ فهو ليس معصوم قد يئس من الشيء ويحصل فلما ظهر الدين يئس ، ولكن الشرك وقع كما هو مشاهد وقد يرجو مسافة الشيء ولا يحصل . وقيل أنه يئس أن يعودوا كحالهم الأولى تماما لأنه سيبقى طائفة من الأمة على الحق . وقيل أن المراد : الصحابة لرواية (المصلين) وأل : للعهد ، أي المصلين الصحابة لأن الله وفقهم ورزقهم العلم . وكل الإجابات الثلاثة صحيحة .

ﮬـ - ولمسلم عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «**إن الله زوى لي الأرض**» .

---

(١١٤) **صحيح**.

رواه البخاري (٧١١٦) ومسلم (٢٩٠٦) .

(١١٥) **إسناده صحيح**.

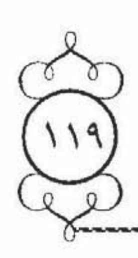
رواه أبو داود (٤٢٥٢) وغيره وهو جزء من الحديث الآتي برقم (١١٩).

(١١٦) **صحيح**.

رواه مسلم (٢٩٠٧) وسبق برقم (٦٤) .

(١١٧) **صحيح**.

رواه مسلم (٢٨١٢) .



لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، وإن ربي قال: يا محمد! إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى يكون بعضهم يُهلك بعضًا ، ويسبي بعضهم بعضًا»(١١٨) .

زوى: أي جمعها . فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى ليمنها ،وهذا معلم من معالم النبوة فقد وصل ملك هذه الأمة إلى أقصى المشرق وإلى الصين وإلى أقصى المغرب : المغرب وطنجة .وليس كذلك شمالا وجنوبا .

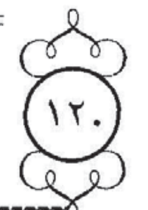
أني أعطيت الكنزين الأحمر والأبيض : هي كنوز كسرى وقيصر وكانا أعظم دولتين .دولة النصارى والوثنيين ،وهذا ما حصل لهذه الأمة .وقد أنفقت كنوزهما في سبيل الله كما أخبر بذلك النبي عليه الصلاة والسلام في عهد عمر وعثمان وهذا علم من أعلام النبوة .

واني سألت ربي لأمتي ... يستبيح بيضتهم : البيضة : المجتمع والحوزة والخلاصة .

بسنة عامة : أي هلاكا عاما كما جرى لقوم نوح وصالح وغيرهم لأن هذه الأمة آخر الأمم ولما جعل الله في نبيها من الخير والبركة وستبقى هذه الأمة إلى قيام الساعة .

وألا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم : فاستجاب له لكن قال الله : «**حتى يهلك بعضهم بعضا ويسبي بعضهم بعضا**» أي إذا تسلطوا فيما بينهم وتقاتلوا سلط عليهم أعدائهم وهذا ما حصل لما تفرقوا واختلفوا طمع فيهم

(١١٨) **صحيح**.
رواه مسلم (٢٨٨٩) .



و - ورواه البرقاني في «صحيحه» ، وزاد **«وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين ، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان، وأنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي ، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق**

أعداؤهم وأخذوا ما في أيديهم من أزمان طويلة .

قضيت قضاء لا يرد : أي أن الله إذا أمر بشيء وقضاه وقدره لا يرده أحد، وقد سبق في علم الله أن هذه الأمة سيقع فيها الخلاف والنزاع وأن دعوته ﷺ لهم في أنهم لا يتقاتلون ولا يتنازعون فيما بينهم لم تستجب بل منع هذه الدعوة . ولهذا وقع النزاع في العهد الأول وما بعده كما حصل من التتار و ما حصل بعد ذلك من تسلط العدو عليهم بسبب عدم تمسكهم بالحق على الوجه الصحيح ،وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . وبه يعلم أن الأمة لو اجتمعت على الحق واستقامت وتعاونت فإنها تغلب عدوها ويجمع الله لها الخير ومتى تفرقوا وتنازعوا طمع فيهم الأعداء وسهل عليهم أخذها والنيل منها .

و - وما رواه البرقاني وزاد : «وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين» .

البرقاني : بتثليث الباء وقال بعضهم وبدون ضم .

وهذا يفيد خطورة الأئمة المضلين وهم ولاة السوء فإنهم يتبعون ويتأثر بهم ويستعان بهم على الباطل فلذلك خاف على أمته منهم . وهذا يشمل الأمراء والقضاة الضالين .

وإذا وقع السيف لم يرفع إلى يوم القيامة : وهذا قد وقع ،وهذا من علامات النبوة فإن باب الفتنة فتح بقتل عمر ثم ازداد بقتل عثمان وزاد الشر.

«لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان» : يدل على أن الشرك سيقع في هذه الأمة وقد حصل ،وهذه هي الوثنية حصلت في الجزيرة وغيرها .



منصورة لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خـالفهم حتىٰ يأتي أمر الله تبارك وتعالىٰ»[١١٩] .

«سيكون في أمتي كذابون ثلاثون ...» : وهو من علامات النبوة وقد وقع كما تنبأ مسيلمة فقتله الصحابة ، والأسود العنسي وقد قتل في حياة النبي ﷺ ، وسجاح التميمية وتابت وطليخة الأسدي و قد تاب ، وغيرهم وآخرهم الدجال الذي يدعي النبوة ثم يدعي أنه رب العالمين قاتله الله . وهؤلاء المدعون هم الذين يكون لهم شوكة وصولة وشبهة وإلا فالمدعون كثير ، بعضهم يقولها بجنون وهذيان وغيره .

ولا تزال طائفة من أمتي على الحق[١٢٠]: هذا من علامات النبوة أيضا ومن البشرىٰ وهذه الطائفة لا تزال إلىٰ الآن .

حتى يأتي أمر الله : وهي الريح الطيبة التي تقبض أرواح المومنين فتقوم الساعة علىٰ شرار الناس .

وقد جاء في روايات : أنها تكون بالشام[١٢١]، لكن إن صح هذا فالمراد

(١١٩) **إسناده صحيح .**

رواه بهذه الزيادة أبو داود (٤٢٥٢) وابن ماجه (٣٩٥٢) وأحمد (٥/ ٢٧٨، ٢٨٤) والحاكم (٤/ ٤٤٩) وأبو نعيم في «الدلائل» (٢/ ٦٨٨-٦٨٩) وفي «الحلية» (٢/ ٢٨٩) والبيهقي في «السنن» (٩/ ١٨١) وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤٥٦) وابن حبان كما في «الإحسان» (٧٢٣٨) من طريق أبي قلابة الجرمي حدثني أبو أسماء الرحبي أن ثوبان حدثه فذكره مرفوعا .

وروي الجزء الأخير «ولا تزال طائفة ....» البخاري (٣٦٤١) ومسلم (١٩٢٠).

(١٢٠) **صحيح .**

رواه البخاري (٣٦٤١) ومسلم (١٩٢٠) .

(١٢١) جاءت هذه اللفظة فيما رواه الفسوي في «تاريخة» (٢/ ٢٩٧) وأبو نعيم في=



. . . .

أحيانا وليس دائما ولكن غالبها روايات ضعيفة وليس لها مكان معين قد تجتمع وقد تفترق وليس في حديث صحيح ما يدل على أنها تكون في مكان معين .

= «الحلية» (٩/ ٣٠٧) من طريق عبد الله بن يوسف ومحمد بن المبارك عن يحيى بن حمزة عن أبي علقمة نصر بن علقمة عن عمير بن الأسود وكثير بن مرة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : لا تزال طائفة من أمتي . . . .وذكر الحديث وفيه قال رسول الله ﷺ هم أهل الشام .ورواه ابن ماجه (٧) من هذا الطريق مختصرا .وفي الإسناد نصر بن علقمة وثقه دحيم وذكره ابن حبان في «الثقات» وروي عنه جماعة من الثقات فالإسناد جيد. وقد جاء بيان أن العصابة هم أهل الشام من كلام معاذ بن جبل عند البخاري (٣٦٤١ ، ٧٤٦٠) ، وأحمد (٤/ ١٥١)، ومن كلامطرف عند أبي عوانة (٥/ ١١٠) والطبري في تهذيب الآثار (١١٥٩ , ١١٦٠) .وانظر كتاب فضائل الشام لابن رجب ط دار الوطن فقد بين طرق هذه اللفظة خير بيان.



